الرسالة الثالثة

مـــن
لنـــــدن
إلـــي
القـاهـــرة

obeikandl.com

obeikandl.com

وليـــامز

هامســـتد

لنـــــدن

أخى فى الايمان ...

فى يوم أحد من الشهر الماضى خرجت مع زوجى وأولادى الى حديقة هايد پارك ... فى ركن الخطباء بهذه الحديقة شاهدنا حاخاما يهوديا يصعد احدى المنصات بعد أن تأبط ذراع احد القساوسة البروتسانت .. لقد تكلم الحاخام والقس كلاما لم يسمع به أحد من قبل .. وشاهدنا أكذب « تمثيلية » لرجلين من رجال الدين كانا ـ قبل ذلك ـ متناقضين فى كل شىء ..

لقد جلس القس هذه المرة أمام « كرسى الاعتراف » وقرر أمام الحاخام والمشاهدين اعتذار المسيحية كلها إلى اليهود عما كان بينها قبل ذلك من خلاف أو اختلاف .. !

كانت المفاجأة مثيرة ، والصدمة عنيفة ، حتى أن أحد المشاهدين رفع نسخة من « العهد الجديد » وصاح ملوحا بها فى وجه القس :

« ولكن ماذا تقول عن هذا الكتاب الذى يلعن اليهود فى كل وقت ؟ ! »

وكأنما كان القس يتوقع مثل هذا الاعتراض .. فصاح فى وجه المحتج قائلا :

انك لم تفهم النص .. فاليهودية والمسيحية وجهان لعملة واحدة نزل بها الوحى .. !!!

من بعيد كانت تقف سيدة عجوز فتقدمت ووجهت هذا السؤال إلى القس :

* يقول اليهود عن المسيح : « (انه موجود فى لجات الجحيم بين الزفت والقار .. وأن أمه حملت به من العسكرى « باندارا » .. بمباشرة الزنا .. !!

وأن الكنائس النصرانية هى والقانورات سواء ..

والواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ..

وأن قتل المسيح من الأمور المأمور بها ..

وأن من الواجب أن يلعن رؤساء المذهب النصرانى ثلاث مرات كل يوم ..

وأن العهد مع المسيحى لا يكون عهدا صحيحا يلتزم الوفاء بهذا العهد ..

أى ان اليهود لم يتركوا نقيصة لم يلصقوها بالمسيح .. فكيف غابت عنك أيها الأب هذه الحقائق التى تفيض بها كتب الدين والتاريخ .. ؟

* * *

وقد عرفت فيما بعد أن هذه السيدة كانت أستاذة سابقة فى جامعة (كوينز لاند) فى استراليا ..

لقد تركت المكان وهى تلعن الحاخام والقس ..

وقالت بصوت غاضب سمعه المشاهدون فى (هايد بارك) :

اذن فالإسلام على حق .. !! وأن الكتاب المقدس قد دخله التحريف والزيف ..

وماذا بقى من المسيحية بعد أن تحولت الى سلعة تباع وتشترى فى حديقة « هايد بارك » أو فى محلات ماركس وسبنسر فى شارع أكسفورد . !!

* * *

لم يدع زوجى (نور الإسلام) السيدة الإنجليزية أو هذه الفرصة تمر .. !

لقد شاركها الشعور بالامتعاض والقرف ، وأصطحبناها إلى خارج الحديقة حيث استقر بنا المقام فى مقهى تقع فى منطقة (ماربل ارش) .. وهناك تم أول تعارف بيننا وبين البروفسورة الانجليزية (شيرلى رالف) ..

ومنذ ذلك اليوم .. والبروفسورة (شيرلى) تزورنا من حين إلى آخر فى منزلنا بحى (هامستد) وقد اكتشفنا أنها تعيش وحيدة بعد أن هجرها أولادها قبل ربع قرن .. فلم يعد يؤنسها فى وحشتها سوى قطتين .. وكلب .. !!!

لقد بلغ اليهود فى بلادنا مبلغا هائلا من التسلط ، وأصبح خطرهم ماثلا فى عين كل بريطانى مخلص ..

ان أمامى الآن مجموعة من مجلات وصحف التايم والنيوزويك (NEWS W EEK) ، والجارديان ، والصنداى تلغراف فى هذه الصحف كلها وفى هذه المجلات كلها يتحدثون عن (الإسلام والعنف) وعن (الإسلام والإرهاب والقتل) وعن (الإسلام والجهل) وعن (الأصولية الإسلامية) التى تهدد الاستقرار والحضارة فى الشرق والغرب .

اننى لم أفهم ماذا يقصدون بكلمة (الأصولية) حتى هذه اللحظة ..

وقد سألت فى ذلك استاذا متخصصا فى جامعة (أكسفورد) ..

لقد حاول الأستاذ أن يهرب من الأجابة .. ولم يقل ما يطمئن قلبى عن سبب المخاوف التى يشعر بها الغرب من هذه الأصولية .. !!!

* * *

قبل أيام فقط من كتابة هذه الرسالة .. كنت فى زيارة خاصة للقاء بعض الأخوات ..كنت أحمل فى يدى العدد الاخير من مجلة (تايم) [1] .. وعلى الصفحة الأولى من غلاف هذا العدد رسمت صورة رجل اسمه (ديفيد) انه اسم المتنبىء الذى اقتحمت القوات الفيدرالية مقر قيادته فى مدينة (واكو) ..

لقد أطلقت المجلة على هذه المذبحة اسم « (مأساة) » وأطلقت على (ديفيد) نفسه اسم « الموت » ..

أنا لا أكتب عن (ديفيد) هذا ولا يهمنى أمره .. فما أكثر هؤلاء المجانين الذين يظهرون من وقت الى آخر فى أى مكان من الدنيا ..

ولكن الذى يهمنى معرفته هو حقيقة هذه التنبؤات التى تشاع هذه الأيام فى معظم عواصم الغرب - عن قرب العالم ..

لقد ناقشت هذه القضية مع قس بروتستانتى يسكن قريبا منا فى حى (هامستد) !

لقد وجدته متحمسا جدا لهذه الخرافة .. ثم زاد .. فأعلن أن هذا موجود فى القرآن نفسه [2] ..

---

١ - الصادر فى ٣ مايو ١٩٩٣ م .

٢ - يقصد ما جاء فى أول سورة « القمر » ..

ان ما كان يعيبه الغرب على الشرق أصبح هذا الغرب غارقا فيه الى أذنيه .. لقد انتشرت طبعات كثيرة عن كتب السحر ، والشعوذة .. ولعلك سمعت بكتاب حقق فى هذا المجال شهرة واسعة وهو كتاب (نوستراداموس) [1] وتنبوءاته المخيفة .. وقد سبق أن قلت لك :

انه يوجد فى بريطانيا وحدها أكثر من ربع مليون ساحر وساحرة ..

* * *

قبل أن أسلم ... لم يكن يشغل بالى شيء من هذه الاهتمامات .. كنت مثل غيرى من التائهين الذين يعيشون بلا هدف .. كان كل اهتمامى موجها الى نمط معين من السلوك الغربى .. وكانت كل أحلامى منحصرة فى بيت جميل أعيش فيه كما يعيش غيرى من عبيد الوجاهة والترف .. كنت أتصور النموذج الأوروبى هو الأجمل ..

صحيح أننى لم أكن أعرف الكنيسة .. لقد نفضت يدى منها منذ فترة .. لم أكن ملحدة كما كان أبى وكانت أختى .. بل كنت أعتقد فى وجود اله أعظم يصرف شئون العالم من حولى ..

غير أنى لم أجد فى الكنيسة ما يطمئن إليه قلبى ..

* * *

لقد بدأ والدى كما ذكرت - فى رسالتى الأولى - يقرأ عن الإسلام وكما قلت فى رسالتى السابقة أيضا :

اننى لم أحاول التدخل فى التأثير عليه أبدا .. فقد نشأنا - كما تعلم - فى بيئة تحترم حرية الرأى ، كما أنك لم تحاول معى شيئا من ذلك فى لقاءاتنا السابقة .. من قبل .. فالاختيار بين عقيدة وعقيدة أمر صعب .. واليقين ما لم يملأ القلب ، والعقل ما لم يفكر باختياره الحر يقود صاحبه فى نهاية المطاف الى التمرد والشك .

ان والدى يعرف الألمانية جيدا منذ أيام الحرب .. وقد اشترك كضابط فى غزو (نورماندى) ..

---

١ - فلكى فرنسى ..

وقد دخل علينا ذات يوم ومعه كتاب لباحث ألمانى من البروتستانت يقول هذا الكاتب واسمه (شفارت) :

« ان القرآن صحيح ، ووحى غير مختلق ، وأنه على الرغم من الأحداث التاريخية الواردة فيه الا أنه مستقل عن أى سياق تاريخى .. لا يحده زمان ، ومتضمن للحقيقة المركزة .. وشبّه القرآن ببلورة دوارة تصور نور الله فى انعكاسات لا حصر لها .. ! »

وبايجاز فان (شفار تسناو) اهتدى الى الإيمان بأن الإسلام هو أول دين ، وأول عقيدة للتوحيد ، ومن ثم يعد أقدم ديانة ، وأكثر الديانات شبابا

كما أن (شفار تسناو) لم يقبل بطبيعة الحال عقيدة التثليث التى تتضمن اتحاد المسيح اتحادا ماديا بالرب .. وفى هذا يقول :

(ان يسوع الذى عرفه التاريخ لم يكن ليتسامح فى تأليه شخصه) .

* * *

ان الفطرة تنتصر فى النهاية .. وقد تذكرت ما كتبه « (اللورد هيدلى) » قبل ذلك عن سبب إسلامه فى كتابه « رجل من الغرب يعتنق الإسلام » ..

وفى هذا الكتاب يقول اللورد :

(من المحتمل أن يتصور بعض أصدقائى أننى وقعت تحت تأثير المسلمين .. ولكن ذلك ليس هو السبب فى تحولى إلى الإسلام .. لأن اقتناعى كان حصيلة لدراسة سنوات عديدة ..

لم تبدأ مناقشاتى مع المسلمين المثقفين إلا منذ أسابيع قليلة .. وكم كان اغتباطى وانشراح صدرى عندما وجدت أن نظرياتى فى مقدمتها ونتائجها كانت تتفق تماما مع تعاليم الإسلام ..

واختيار الإنسان لهذا الدين - كما يقرر القرآن - يجب أن يكون نابعا عن اقتناع شخصى ذاتى ، ولا يمكن أن يكون بالاكراه أبدا ..

لقد عرفت حالات كثيرة عن البروتستانت الفيورين الذين رأوا أن واجبهم يحتم عليهم زيارة الديار الكاثوليكية الرومانية للتبشير بعقيدتهم بين سكانها ، وتحويلهم عن

عقيدتهم .. ولاشك أن مثل هذا السلوك الشائك غير القويم تمقته النفس ، وقد طالما أدى إلى الشعور بالإستنكار ، وإلى اثارة احقاد ومنازعات قد تسيء إلى كرامة الدين .. ويؤسفنى أن أرى كثيرا من البعثات التبشيرية المسيحية تتبع نفس هذه الأساليب مع إخوانهم المسلمين .. وانى لا أستطيع أن أجد مبررا لهؤلاء الذين يحاولون التبشير بين قوم هم فى الواقع أقرب منهم إلى تعاليم المسيحية الحقيقية .. وأقول أقرب الى تعاليم المسيحية وأعنى ما أقول .. لأن البر والسماحة وسعة الأفق العقلى فى عقيدة الإسلام أقرب إلى ما دعا إليه المسيح من تلك العقائد المستحدثة الضيقة المتزمتة فى المذاهب المسيحية المختلفة .. !!!

ولنضرب لذلك مثلا المذهب الأثناسى الذى يعالج عقيدة « التثليث » فى اسلوب بالغ الاضطراب .. وهذا المذهب مع ماله من أهمية ومكانة عندما يتناول احدى المعتقدات الرئيسية فى المذاهب المسيحية ، فهو ينص بكل وضوح على انه يمثل العقيدة الكاثوليكية ، وأننا اذا لم نؤمن به فسوف نهلك الى أبد الآبدين ، وأننا مطالبون بالاعتقاد بالتثليث اذا أردنا لأنفسنا النجاة .. وبتعبير آخر أننا يجب أن نؤمن برب ندعوه أنه رحيم عظيم ، ثم نعود على الفور لنصمه بالظلم والقسوة .. تماما كما نصم أقسى العتاة الجبارين من البشر .. وحاشا لله سبحانه أن يحدد صفاته تصور عبد ضعيف يعتقد بمبدأ التثليث .. !!!

ومثال آخر يتعلق بافتقار المسيحية إلي البر والمحبة .. فقد تلقيت عن موضوع اتجاهى إلى الإسلام رسالة يقول لى مرسلها : اننى اذا لم أومن بألوهية المسيح فلن تكتب لى النجاة .. ولم تكن مسألة ألوهية المسيح يوما ما ... لتنال أهمية مسألة اخرى فى نظرى وهى :

(هل بلغ المسيح رسالة الله إلى الجنس البشرى أم لا ؟) ..

ولو كان عندى شك فى هذه المسألة لأقلق ذلك خاطرى .. ولكن حمدا لله لم تساورنى فيها الشكوك ، وأسأل الله أن يظل يقينى بالنسبة للمسيح وبما أوحى إليه من تعاليم ثابتا قويا كيقين أى مسلم أو أى مسيحى . وأعتقد كما سبق لى أن ذكرت مرارا أن الإسلام والمسيحية التى دعا اليها المسيح نفسه دينان شقيقان .. وانما فصلت بينهما بعض النظريات والمصطلحات التى يمكن الاستغناء عنها ..

وفى زماننا هذا بدأ الناس ينحدرون إلى عدم الإيمان بالله عندما يطلب اليهم الإيمان بمذاهب ضيقة متزمتة .. وفى نفس الوقت هناك ولا شك تعطش إلى دين يخاطب العقل ، ويناسب العواطف البشرية .. واننى لأتساءل : هل سمع أحد برجل مسلم انحدر من إيمانه الى الإلحاد ؟ .. ربما كانت هناك بعض الحالات الفردية النادرة .. ولكننى أنظر اليها جميعا بالشك والحذر .. !!

اننى اعتقد أن هناك آلافا عديدة من الرجال والنساء مسلمون فى ذات قلوبهم .. ولكن يمنعهم من إعلان هذه الحقيقة مراعاتهم للعرف ، وخوفهم من النقد والاتهام ، ورغبتهم فى تلافى ما يتبع اعلان هذا التحول من مشاكل ..

لقد أقدمت على الاعلان بأننى اعتنقت الإسلام مع ثقتى التامة بأن كثيرا من اصدقائى وقرابتى ينظرون إلىّ الآن كأننى ضللت سواء السبيل فى عرفهم الى حد لا يجدى معه نصح ، أو ينفع معه دعاء ..

ومع ذلك فان عقيدتى هى هى كما كانت منذ عشرين عاما .. انما كان اعلانى لها أخيرا على الملأ هو ما أفقدنى حسن تقديرهم ..

لقد بينت فى إيجاز بعض الدوافع التى حدت بى إلى اتباع تعاليم الإسلام ، وبينت أننى اعتبر نفسى بهذه الخطوة نفسها أصبحت مسيحيا أفضل مما كنت قبل ذلك .. وانى لأهيب بغيرى أن ينهج نفس المنهاج الذى اعتقد مخلصا أنه الصراط المستقيم الذى يجلب السعادة لهؤلاء الذين يرون فيما أقدمت عليه خطوة إلى الامام ، وليس فيها على أية حال معنى العداء للمسيحية [1] .. »

* * *

أما عن شقيقتى (چوليا) فقد تجاوزت مرحلة القلق وقد اكتشفت بعد عودتها من منزل الأسرة المسلمة التى تسكن قريبا منا فى حى (هامستد) أنها اتفقت مع هذه الأسرة على السماح لها برفقتهم إلى المسجد .. !!

لقد اشتعلت الشراره المقدسة فى قلب (چوليا) العزيزة .. !!

وأتصور أنه لن ينقضى هذا العام حتى تكون مسلمة كاملة .. !!

---

١ – نقلا . عن كتاب ISLAM OUR CHIOSE

فى زيارة خاطفة الى مدينة (أكسفورد) سمعت من بريطانية مسلمة أن أبناء رئيس المحكمة العليا قد اعتنقوا الإسلام [1] ، وقد هاجمت الصحف البريطانية هذا القاضى بسبب اختياره رئيسا لهيئة التحقيق التى تراجع أوراق وزارة الدفاع والخارجية عن صفقات الأسلحة التى وافقت الحكومة على تصديرها الى العراق ..

اذ كيف يستقيم - فى نظر رؤساء تحرير هذه الصحف - رئاسة الأب لهذه الهيئة بينما أولاده مسلمون كشعب العراق ؟ انهم يحاولون اطفاء الشمس ، ويضعون العربة أمام الحصان فى محاولة جرها الى الخلف .. !!!

انها أخبار سارة على أية حال .. صحيح أن الذين أسلموا أسلموا بوحى من ضمائرهم .. ان الدعوة الإسلامية فى عواصم الغرب تحتاج الى نوعية خاصة من الدعاة .. فالحضارة الغربية يظهر تفسخها كل يوم فى جميع الأصعدة وقد نخر السوس فى عظامها فلم تعد قادرة على الخروج من هذه الكارثة ..

* * *

لقد حان وقت طعام العشاء .. وأسمع صوت والدتى يدعونا الى غرفة الطعام ..

ان البروفيسورة (شيرلى) معنا الآن فى البيت .. وقد سمعتها وهى تسأل (چوليا) عن كتاب سهل يشرح مبادىء الإسلام السمح .. لقد طارت (چوليا) من شدة الفرح .. أما زوجى (نور الإسلام) فقد وقف يشاهد هذا التحول فى هدوء وصمت .. !! بينما كان قلبى يخفق من هذه المفاجأة التى لم تكن فى حسبان أحد .. وانطلقت إلى المطبخ لأساعد أمى فى إعداد مائدة الطعام الذى لم أره فى مثل هذا الجمال والذوق من قبل .. !!

أختـك

(مرجريت)

---

١ - وقد سمعت هذه القصة من الأخ عبد الحكيم وينتر . ونحن نتجول فى حدائق كنسنجتون KIN SINGTONGARRDENS